دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
**ARCIF** Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
**AIF** Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

# الزواج المختلط
# وأوضاع الغرباء الاجتماعية والاقتصادية في الغرب الإسلامي
# خلال عصري الموحدين والمرينيين

**إبراهيم قدوري**
أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي
ماستر التاريخ الثقافي الوسيط
جامعة مولاي إسماعيل – المملكة المغربية

## مُلَخّص

*شغلت "الغربة" ، ولاتزال في التراث والثقافة العربية الإسلامية العديد من الشعراء والكتاب والمتصوفة والمفكرين...، فجاءت غنية بالدلالات والرموز الأنطولوجية، لكننا سنحاول قدر الإمكان كشف اللثام حول دور الغرباء في تكوين الأسرة المغاربية عن طريق الزواج المختلط والمصاهرة مع رجال ونساء الغرب الإسلامي، ومن هؤلاء الغرباء القبائل العربية واليهود والنصارى والعبيد والتجار الحرفيين والنخبة العالمة الذين قدموا إلى المجتمع الإسلامي بدافع التجارة، أو التغريب، أو النفي، أو الأسر. كما سنوضح الأوضاع الاجتماعية للنساء المسيحيات والنصرانيات بالمجال المدروس، والهدف الأسمى هو الحديث عن الزواج المختلط بين المسلمين والغرباء، وخاصة الجواري منهن، في حين لم تمنعه التعاليم الإسلامية باعتبار الزواج بالكتابية حلال، كما أن الخلفاء والأمراء والسلاطين ارتبطت حياتهم الأسرية خاصة بالقصور بزيجات سواء عبر الأسر أو الاسترقاق أو توطيد العلاقات السياسية مع العرب، وهكذا لم يكتف المسلمون والغرباء بالتعامل اقتصاديًا بل تعدوه إلى ما هو أكثر حميمية، حيث انصهروا وامتزجوا فيما بينهم، وهو ما جعل الجواري يلقبون بأمهات الأولاد، أما وضعيتهم الاجتماعية فقد اقتصرت على الأعمال المنزلية في القصور السلطانية والتدخل في الأمور السياسية والمشاركة في الحروب، ناهيك عن الحضور الثقافي لهم على مستوى الشعر والنثر والموسيقى، كلها ميادين أبدعوا فيها، ما جعل السلطة السياسية تستدعيهم إلى مجالسهم والتقرب منهم. ويجب ألا نغفل مساهمة الغرباء في الحياة الاقتصادية من خلال العمل الحرفي الجاد الذين تقلدوه في المدينة الإسلامية، وأسهموا من خلاله في تحقيق الفائض على مستوى قطاع التجارة.*

## بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٠٨ يونيو ٢٠٢٤
تاريخ قبـول النشـر: ٠٩ يوليو ٢٠٢٤

## كلمات مفتاحية:

الغرباء؛ الزواج المختلط؛ الغرب الإسلامي؛ التاريخ الاجتماعي؛ التاريخ المقارن

## معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2024.296306.1139

## الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

إبراهيم قدوري، "الزواج المختلط وأوضاع الغرباء الاجتماعية والاقتصادية في الغرب الإسلامي خلال عصري الموحدين والمرينيين".- دورية كان التاريخية.- السنة السابعة عشرة- العدد السادس والستون؛ ديسمبر ٢٠٢٤. ص ٦٧ – ٧٨.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

**Corresponding author**: b.kaddouri@edu.umi.ac.ma
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

## مُقدِّمَةٌ

تعتبر الغربة من الظواهر الاجتماعية التي عرفها العالم المتوسطي على مر التاريخ، فقد عرف الغرب الإسلامي مناطق جاذبة للغرباء والأغيار، الذين تحملوا فعلاً عناء السفر والترحال، إذ ثمة عوامل كثيرة ومختلفة تجبر الإنسان على الاغتراب، وتكون متصلة بحاجات ملحة تؤجج تنقله من مجتمعه الأصلي إلى مجتمع جديد يمنحه صفة الغريب، وقد تكون الغربة بسبب دوافع اجتماعية واقتصادية وثقافية أو دينية، كما اشتهرت مؤسسات عديدة لإيواء هذه الفئة من قبيل الفندق وزوايا النساك والملاح والبيمارستانات والقصور السلطانية التي استقبلت الجواري كزوجات لهم أو خادمات في شؤون البيت أو شاعرات في مجالسهم، لما لهم من تأثير قوي على مظاهر التفاعل الثقافي والتمازج الحضاري الذي شهده المجال الحضري المغربي خلال العصر الوسيط. ويهدف هذا البحث إلى دراسة الزواج المختلط بين المسلمين والغرباء، وكذا الوضعية الاجتماعية للنساء المسيحيات والنصرانيات والعبيد في المجتمع الإسلامي، ثم العمل الفلاحي والحرفي، والحضور التجاري لهؤلاء الغرباء، إذ أن المرأة في العصر الوسيط خضعت للشرع باعتباره منظما داخليا لمنظومة الزواج سواء بالمسلمات أو أهل الذمة أو العبيد في ارتباط مع العرف الذي كان له دوره كنسق قانوني يوازن الحياة الاجتماعية الخاصة في بعدها الحميمي، إن هذا العرف تعبير خالص للحياة الاجتماعية التي سادت داخل منظومة القيم والعلاقات.

فإذا كان الزواج شرطًا أساسيًا لتكوين الأسرة فإنه عرف أزمة عميقة مما نشأ عنه وجود عدد كبير من العازبات والمتقدمات في السن، الشيء الذي جعلهم في بعض الأوقات يقدمن أنفسهن عن طواعية لعابري سبيل في مناطق الجنوب من المغرب، لكن لماذا كانت هناك زيجات مشتركة مع مسيحيات ونصرانيات وعبيد وعرب في وجود هذه الكثرة من نساء القبائل العازبات؟

ومن جهة أخرى، فقد تدخل هؤلاء النساء الغرباء أو الجواري في الأمور السياسية خصوصًا ما يتعلق بأمور ولاية العهد، والمشاركة في الحروب، والعمل في البيوت من العجين والطبخ والخبز والكنس وعمل السرير واستقاء الماء وغسل الثياب والغزل والنسيج وغير ذلك من الأمور والتصرف داخله وخارجه. فالزواج، إذن، بالنساء المسيحيات والنصرانيات والعبيد والعرب لم يكن فقد بدافع ولادة ولي للعهد بل لوجود صفات أخرى ومواصفات جعلتهن محظيات عند الأمراء والخلفاء مع قيامهن بأعمال داخل القصر كتسيير بعض الأعمال وإبداء الرأي في شأن من الشؤون ثم توطيد العلاقات السياسية وفض النزاعات بين المسلمين والمسحيين والعرب، والارتباط بالعائلة الغنية التي تحتضن الثروة، فلولا مكانتهن لما تم ذلك، إذ أن أوضاع هؤلاء النساء الغرباء في هذه الفترة مدعوة للتساؤل: هل فعلاً كل النساء المسيحيات والنصرانيات والعبيد والعرب بالغرب الإسلامي كن على نفس المرتبة من الحظوة؟ وأين تتمثل أوضاعهم الاجتماعية بالمجال المدروس؟ علاوة على ذلك، برع الغرباء من اليهود والنصارى والعبيد على مستوى العمل الفلاحي والنشاط الحرفي في المجتمع الإسلامي بهدف ترويج صناعتهم، والمساهمة في تنشيط الحركة الاقتصادية بالمدن المغاربية. فماهي الأوضاع الاقتصادية للغرباء بالغرب الإسلامي؟

## أولاً: مصاهرة سلاطين الغرب الإسلامي لبنات شيوخ القبائل العربية

بعد أن تبوأ شيوخ العرب مكانة مرموقة في ظل تقهقر السلطة المركزية ببلاد المغرب الإسلامي نتيجة الصراعات بين الدويلات الثلاث، ناهيك عن ضعف القبائل البربرية وتمزقها، الشيء الذي دفع السلاطين إلى توثيق روابطهم وحلفهم مع بعض شيوخ العرب، وتوطيد علاقاتهم بهم والتقرب منهم عن طريق المصاهرة." وذلك بعدما زوج المعز بن باديس بناته إلى زعماء العرب من قبيلة مرداس الرياحية، وهم فارس بن أبي الغيث وأخوه عائذ والفضل بن أبي علي فأصبحوا له أصهارا"[1].

وخير دليل، ما أورده التيجاني حول هذه المصاهرة بقوله: "فزف إلى زعمائهم بنات كن نجوم الليالي وأماني المغالي فأصبحوا له أصهارا"[2]. كما صاهر المعز شيخ قبيلة صنبر مؤنس بن يحيي، وهو ما جعله يحظى

بحمايته، فأمن له الطريق في المهدية[٣]. ومن النماذج الدالة على المصاهرات التي تمت بين السلاطين وسيوخ القبائل في الفترة التي أعقبت سقوط دولة الموحدين، ما ناله الخلط من شرف مصاهرة بني مرين أيام شيخهم مهلهل بن يحيي، حيث زوج ابنته للسلطان يعقوب بن عبد الحق، وكان من نسلها ابنه السلطان أبو سعيد، وقد حظي مهلهل بمكانة رفيعة في مجلس السلطان، إلى أن توفي سنة ٦٩٥هـ، ونال ابنه عطية نفس المنزلة طيلة فترة السلطانيين أبي سعيد وابنه أبي الحسن، وتم تكليف عطية بمهمة السفارة للمرينيين إلى سلطان مصر الملك الناصر، الأمر الذي يعكس مدى ثقة السلطان المريني في كفاءته وخبرته وولائه، وهكذا بلغ أبناء بيت الرئاسة من الخلط مبلغا من العز والترف، وصار لهم نفوذ داخل القصر المريني[٤].

ويبدوا أن السلطان أبا سعيد كان يميل كثيرا لأخواله من العرب، إذ أنه بادر إلى الزواج من ابنة عامر بن إبراهيم شيخ بني عامر، وكان عامر هذا قد نزل المغرب قبل عريف بن يحيي، وتحصل عامر بسبب هذه المصاهرة على مال كبير وجاه عريض، ودنى مجلسه من مجلس السلطان[٥]. ويتبين جليًا، أن أسباب هذا الزواج هو كسب ولاء شيوخ العرب من أجل ضمان سمعتهم وطاعتهم في المغرب الأقصى، وكذا الاستعانة ببطون بني عامر ضد سلاطين بني زيان، وهو ما كان للمرينيين الذين تمكنوا من ذلك من إخضاء المغرب الأوسط وإفريقية في مناسبتين متعاقبتين وسط تأييد من أصهارهم العامريين وجموع بني سويد والذواودة[٦]. أما في الجانب الشرقي من بلاد المغرب الإسلامي، فنصادف مصاهرة حصلت بين السلطان الحفصي أبي العباس الفضل الذي بويع سنة (٧٥٠هـ/١٣٥٠م)، وبين أبي الليل قتيبة بن حمزة من أولاد بليل المشهورين، فتزوج أبو الليل قتيبة بأخت السلطان أبي العباس الفضل في سابقة خطيرة لم يفعلها أحد من سلاطين بم حفص، وهو ما جعل ابن الشماع يقول متأسفا: " ولم يسبقه أحد من الملوك إلى ذلك" وعلل ابن الشماع فعلته هذه لكونه رجى أن يطول ملكه[٧].

كذلك ندرك قيمة وأهمية مثل هذه الزيجات سنقف قليلاً عند زواج أبي الفضل ابن ابي الحسن المريني مع ابنة عمر بن حمزة بن أبي الليل، والذي تم حين أراد أبو الحسن أن يعود من تونس إلى المغرب عقب إنهائه حكم الحفصيين والزيانيين، وذلك على إثر سماعه بخروج ابنه أبي عنان عليه. ونفعت هذه المصاهرة الفضل أبي الحسن كثيرا، فحين دخل أبو العباس الفضل الحفصي تونس منهيا حكم المرينيين. قامت العامة بمحاصرة الفضل بن أبي الحسن ورجموه بالحجارة. فأرسل أبو الفضل ابن أبي الحسن إلى بني حمزة مناشدا إياهم حق المصاهرة، ودخل عليه أبو الليل وأخرجه ومن معه إلى الحي مع عدد من رجالات يني كعب حتى أبلغه مأمنه[٨]. وفي إطار الصراع المحتدم بين بني مرين والقبائل العربية، تواتر الزواج بين هذين الطرفين بنسب قليلة، وكان من بينها زواج يعقوب بن عبد الحق من السيدة عائشة بنت مهلهل الخلطي[٩]. بل إن نساء العمارنة اللواتي اعتاد المرينيون الزواج من بعضهن، من أفضل وسيلة لاصطناع رجال تلك القبيلة، ومنع تمرادتهم وغاراتهم في المجالات التي اعتادوا التنقل فيها[١٠]. وهكذا، فالتاريخ المريني يسجل حالات لزواجات سياسية بهدف لجم الصراع والتناحر، من ذلك المصاهرات التي عقدها بنو حمامة مع الوحدات القبلية الأخرى، وبرزت في هذا الصدد أسماء السيدات سوط النساء من بني علي الشرفاء الحسنيين[١١] والنوار بنت تصالت من بني ينجاسن[١٢] وأم الفرج من بني عبد الواد[١٣]. وأم اليمن بنت محلي من قبيلة بطوية، وتعزونت بنت أبي بكر من تنافلت، اللواتي عقدن عليهن عبد الحق بن محيو لغرض رأب الصدع بين بني حمامة وغيرها من القبائل[١٤]. بهدف الضم والإلحاق، وتهدئة الخواطر، وتعزيز التحالف من خلال تصدير الحرب خارج هذه الوحدات.

ولا يفوتنا أن نشير، في هذا الصدد، إلى أن هناك من القبائل العربية المستوطنة للمغرب الأقصى، من جرت العادة عندها على اختيار الرجل لزوجته بناء على مقدار ثروتها وأصولها، ولعل هذا ما يفهم من المسألة التي استفتي فيها عبد الله العبدوسي، حيث ورد ضمنها أن امرأة بعدما عوتبت على إقدامها على الزواج وهي

حامل، قالت: "خفت على نفسي من العربي الذي طلبني الزواج وعلى مالي، لأن عادتهم ينكحون المرأة لمالها"[١٥].

## ثانيًا: الزواج المختلط

ساهم الغرباء في تكوين الأسرة المغاربية عن طريق الزواج والمصاهرة من خلال عقد الزيجات مع طوائف مختلفة سواء مع اليهود والنصارى والعبيد والجاليات الإسبانية والتجار الحرفيين الذين قدموا إلى مجال الغرب الإسلامي بدافع التجارة، أو التغريب، أو النفي، أو الأسر. ولا نستبعد أن هؤلاء الغرباء انصهروا ضمن الحياة الأسرية بالمغرب من خلال زواجهم بملوك الدول الكبرى، ومن أبرز الحجج الدالة عن هذا الزواج نذكر: "أن أهل قرية تقوت بإقليم سجلماسة، كانوا يفضلون تزويج بناتهم للغرباء، من أن يزوجوهن لأهل البلدة"[١٦]. فثمة حالات زواج كثيرة، توردها المصادر، ينتمي طرفها إلى مناطق وقبائل مختلفة[١٧]. فقد عد نكاح الحبشية عند المصامدة عار[١٨]. كما أشارت النوازل إلى مطالبة أفراد أسرة أمازيغية من مدينة تازا بفسخ زواج أختهم من رجل عربي قيسي النسب، بدعوى عدم الكفاءة في النسب[١٩]. كما شاع في الدولة الموحدية الزواج بالنصرانيات، فنلاحظ الخلفاء مثل أبي يعقوب تزوج من نصرانية، وأنجبت له ابن الخليفة المنصور الموحدي[٢٠]. والملاحظ أن هناك من المغاربة من أجبرته ظروف الرحلة والسفر لمدد طويلة على اختيار زوجاتهم من المناطق التي اتخذوها موطنا لهم، لذلك نجد من تزوج بنساء غير مغربيات[٢١].

وثمة من الاختيارات الزوجية من تجاوزت النطاق الواسع المسموح فيه بالاختيار، وهو نطاق المسلمات، لتطال نساء ينتمين إلى طوائف دينية أخرى خاصة المسيحية[٢٢].وتجدر الإشارة إلى أن الشريف علي بن موسى (ت. ٨٧٦هـ/١٤٧٢م)، ومن جراء حالة الانفلات الأمني التي خيمت على المغرب الأقصى أواخر الدولة المرينية، اضطر إلى الرحيل واللجوء إلى مملكة غرناطة، حيث اختار امرأة نصرانية من أصل إسباني زوجة له[٢٣]. ومن الالتزامات التي ترددت كثيرًا في متون النوازل الفقهية خاصة، التزام الزوج بأن" لا يتزوج ثانية، ولا يتسرى ولا يتخذ أم ولد"[٢٤] وبأن "الداخلة عليها بنكاح أو مراجعة طالق بنفس العقد عليها" طول بقائها في عصمته إلا بإذن منها ورضاها[٢٥]. علاوة على ما سبق، تطالعنا النصوص الخاصة بالحقبة المرينية، بزيجات تمت فيها عملية اختيار القرين، اعتمادا على مواصفات محددة، عبر من خلالها الرجل المقبل على الزواج عن رغباته وميولاته، فقد فضل بعضهم المرأة العالمة[٢٦].

ومهما يكن من أمر، فقد أسهم الغرباء في تكوين الأسرة المغاربية من خلال ما يلي: "ونتيجة لذلك اقتحم الإسبان الحياة العربية وساهموا في بناء الحضارة الجديدة، وإذا بنا نجد من نسائهم في حريم الأمير كزوجات شرعيات أو جواري[٢٧]. يضاف إلى هذه الأصناف من المسحيين، العديد من السبايا والجاريات والروميات اللائي كن يقدمن إلى المغرب إما عن طريق الأسر أو بواسطة تجارة الرقيق، وخير دليل على ذلك نستشهد أن الأمراء المرابطون تزوجوا وانصهروا مع الجواري المسيحيات:" إن أم علي بن يوسف كانت رومية"[٢٨]. بل ثمة نصوص تكشف أن بعض الأندلسيين ضربوا توجيهات الفقهاء عرض الحائط. فولعوا بالفتيات النصرانيات، وعشقوهن لدرجة أنهم أصبحوا يترددون على الكناس لرؤية حبيباتهم المسيحيات[٢٩].

ولا نعدم من الإشارات ما يثبت أن بعض الرجال تزوجوا نساء من جنسيات أخرى تخالف جنس البربر كزواج الوزير ابن جامع من تركية[٣٠]. ويجب الإشارة إلى عقد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قرانه على ابنة ابن مردنيش سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م)، حيث دفع لها مهرا بخمسين دينارا وأرسل لها هدية ألف دينار[٣١]. فإذا تم عقد القران أقيمت الأفراح ابتهاجا بهذه السنة السعيدة، فالخليفة يوسف بن عبد المؤمن حين تزوج ابنة محمد بن سعيد بن مردنيش صنع مهرجانا عظيما يقصر اللسان عن وصفه[٣٢]. وكان الرجال يدفعون مهورا لزوجاتهم ومن ذلك ما دفعه أبو عبد الله ابن أبي إبراهيم والي غرناطة من مهر للسيد أبي حفص للزواج من ابنته أثناء مقامه بمراكش (٥٦٤هـ/١١٦٧م)[٣٣]. كما ارتبط الخلفاء المغاربة بزوجات مسيحيات سواء من مسيحي الأندلس أو عن طريق الشراء في أسواق العبيد[٣٤].

شاعت في بلاد المغرب الإسلامي ظاهرة الزواج المختلط، خصوصا في القصور، فعلى سبيل المثال في

دولة بني حفص يذكر الزركشي: "أن المستنصر كانت تزف له في كل ليلة جارية"[٣٥]. وتذكر المصادر امتلاك السلطان أبو يحيى أبو بكر الثاني (٧١٨هـ/٧٤٧هـ/١٣١٨م/١٣٤٦م) أربع جاريات روميات[٣٦]. ومن أشهر الزيجات بالمغرب الأقصى زواج الحليفة المأمون الموحدي بحباب التي أخذت البيعة لابنه الرشيد بعد وفاة أبيه (٦٣٠هـ/١٢٣٢م)[٣٧]. وعرفت هؤلاء النسوة بالدسائس لصالح حكامهم[٣٨]. وبعد تفحص المصادر الفقهية نجد أن زواج المسلمين من المسيحيات يقوم وفق عقود وعهود استلزمت شروط الزواج بما فيها الخطبة والصداق[٣٩]. كما ساهم الاتصال الدائم مع الروميات في القصور إلى خلق زيجات مختلطة، كما حدث في دولة بني حفص، إذ تزوج الأمير أبي عبد الله المنصور أبي فارس من الجارية "مارية والتي أنجبت له المستنصر الحفصي" (٨٣٧/٨٣٩هـ/١٤٣٤/١٤٣٥) موأبو عمرو عثمان (٨٣٩/٨٩٤هـ/١٤٣٥/١٤٨٨م)[٤٠]". دون أن ننسى أن زوجات المأمون من "أمهات الذكور والإناث روميات وسريات"[٤١]. وأبو دبوس أخر خلفاء الموحدين" أمه أم ولد رومية رومية اسمها شمس"[٤٢]

وضمت قصور الموحدين بالمغرب عدد كبير من الرقيق ضمن الحريم السلطاني، فأم عبد العادل مثلا كانت: "رومية من سبي شنترين اسمها سر الحسن"[٤٣]. أما ابن خلدون، فحينما زار الأندلس، تزوج بفتاة إسبانية، تدعى هند، ولعل هذا ما شجع ابن الخطيب على أن يطلب من سلطان المغرب أبي سالم المريني أن يهديه جارية إسبانية[٤٤]. ومن جانبه، أشارت الرحلات الأندلسية والمغربية إلى بعض النماذج من زواج العلماء والرحالة بنساء أجنبيات، ومنها زواج أبي حامد الغرناطي في بلاد المجر بجارية رومية، حيث رزق منها بولد ومات، فأعتقها وسماها مريم[٤٥].

## ثالثًا: الوضعية الاجتماعية للنساء المسيحيات والنصرانيات والعبيد بالغرب الإسلامي

ومن المرجح أن يكون عدد العنصر النسوي من الغرباء المسيحيات قليلا مقارنة مع العنصر الذكوري، لأن مصاحبة النساء للتجار الأوربيين كانت نادرة، ولكنها لم تكن منعدمة[٤٦]. فالعقود التي دونها" بييترو باتيفوليو" بتونس، تشير إلى وجود ثلاث نساء أوربيات[٤٧]. وهو عدد قليل جدا، ولا يعكس العدد الحقيقي فيما نرى، خصوصا أن وجود إيطاليا على مرمى حصاة من تونس، شكل معطى إيجابيا ومشجعا لإمكانية اصطحاب بعض التجار الإيطاليين زوجاتهم، أو بناتهم، أو رفيقات عمل معهم إلى الفنادق الممتدة على ساحل بلاد الغرب الإسلامي[٤٨]. ولابد الإشارة إلى مجموعة الحجج والدلائل التي تعكس مدى حضور المرأة الذمية والجنوية في فنادق تونس الحفصية خلال القرن الثالث عشر الميلادي ما يلي: "نجد شكوى رفعتها فتاة جنوية تدعى" دو كاطالونيا"De Catolonia ضد تاجر جنوي ادعت فيها حملها منه بجنين في شهره الثالث"[٤٩]. وهو دليل يؤكد إقامة الفتاة بالفندق الجنوب بتونس الحفصية، ويحتمل أن تكون الإقامة بهدف العمل أو التجارة. ثم كشفت وثيقة دونت بفندق الصقليين بتونس وجود امرأة تدعى "كالي"Cali، التي سعت جاهدة من أجل إبطال زواجها الثاني بعد سنتين من الزواج، بدعوى أنها لا تزال في عصمة زوجها الأول[٥٠].

ويصف أحد الباحثين[٥١] أسماء تاجرات كبيرات توفين في الغربة بأحد فنادق تونس، وهو ما يستشف من وصية أملتها امرأة تدعى جيوفانا زينوجيا Zenogia Geovanna، لحظة احتضارها في فندق مرسيليا بتونس بتاريخ ١٤ يناير١٢٨٩م/٦٨٧هـ. ففي الوصية، أوصت بترك مبالغ مالية لأشخاص من بينهم خدمها، كما أوصت بأن تدفن في كنيسة القديسة مريم في فندق الجنويين القديم بتونس، وأن يشرق القس "تاليدوس" Tealdusشخصيا على مراسم دفنها. ويتبيّن من خلال هذه المعطيات وغيرها، أن الحضور النسائي بفنادق المدن المغاربية لم يكن منحصرا في مجرد نماذج لزوجات أو ربات بيوت، بل كانت المرأة الأوروبية المتواجدة في الفندق بكلمات Pistarino "امرأة أعمال" Donna d'affari[٥٢]

وقد نصت وثيقة مهمة عن أمور الخدمة المنزلية التي زوالتها النساء المسيحيات والنصرانيات والأسيرات والجواري وحددتها في الأعمال الآتية:" خدمة البيت من

العجين والطبخ والخبز والكنس وعمل السرير واستقاء الماء وغسل الثياب والغزل والنسيج وغير ذلك من الأمور والتصرف داخله وخارجه"[٥٣]. وترد الإشارة إلى حاجة الأسرة، خاصة الزوجة إلى الخادم، للقيام بشؤون البيت وإرضاع الأطفال خاصة لدى الفئات الميسورة بسبب عدم إمكانية تقديم لبن الحيوان للأطفال الرضع وصغار السن، الشيء الذي الأمراء إلى الاستعانة بالمرضعة[٥٤].

ولدينا إشارة أخرى إلى حاجة رجل من الصوفية يدعى أبو محمد عبد الخالق بن ياسين الدغوغي (ت. ٥٧١هـ/١١٧٥م) إلى "عجوز من الخدم تطحن له ما يأكله الصالحون"[٥٥]. وقد بذل لأحد النخاسين من أجل شراء هذه الخادم مبلغ عشرين دينارا[٥٦]. واستفادت البيوت الأندلسية مقارنة بالمغربية من خدمات الإماء، نظرا لما كانت ترمي به الجبهة الإسبانية من سبايا تم توظيفهن في الخدمة المنزلية. فقد كان من نتيجة هجوم موحدي سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م) على حصن قليج انطلاقًا من إشبيلية أن تم سبي أربعمائة من النساء، بين كبيرة وصغيرة، ومائة وعشرين من الرجال، بيعوا في مدينة إشبيلية ف" كثر عند الناس الخدم وامتدت النعم"[٥٧].

وتفصح لنا شكوى أمة، عن مدى معاناتها من هذه الخدمة المزدوجة، فقد صرحت يوما، وقد اشتدت الوطأة عليها من الجانبين سواء من طرف الزوج أو الزوجة فقالت:" أنا لا أقدر أن أزجر بالنهار وتسهرني أنت بالليل، فإن شئت أعفني من الوطء والسهر، وان شئت أعفني من الزجر بالنهار"[٥٨]. ويبدوا أن صوت هذه الأمة لم يجد صدى له، فقد كان رد الفقيه" يطؤها ولم نر لها عذرا"[٥٩]. وتوفرت لنا إشارات عديدة إلى تولي الإماء مهمة طبخ طعام الأسرة، فهذا الصوفي المغربي المشهور أبو يعزى يلنور كانت له خادم تتولى إعداد الطعام اعتاد تناوله: "كانت تأخذ قديرة، فتجعل فيها قليلا من اللبلات فإذا طبخ ذلك حفنت بيديها من دقيق البلوط الشعري"[٦٠]. واشتهرت جواري مدينة أودغشت السودانيات بكونهن:" طباخات محسنات، يحسن عمل الأطعمة ولا سيما أصناف الحلويات، فلا يوجد أحذق بصنعتها منهن".[٦١] وفي تونس تجدر الإشارة إلى: "جارية طباخة سمراء مليحة خفيفة الروح مطبوعة"[٦٢]. وتضمنت بعض النوازل المطروحة على الفقيه المازري توفي (٥٣٦هـ/١١٤١م)، تهم نزاعا بين رجل وصهره حول خادم، فقد سلم الرجل" لصهره جارية رومية، فزعم صهره أنها خادم ابنته التي في صداقها"[٦٣]. ويرد الموضوع ذاته، في نازلة طرحت على نفس الفقيه حول امرأة:" بيدها خادم ادعت أنها لها وادعى أولاد الزوج أنها لأبيهم المتوفي"[٦٤].

أما عن دور المرأة اليهودية في الغرب الإسلامي، فلم ترد عنها إلا بعض الشذرات عن امرأة يهودية تسمى "حنة" دخل عليها" يحيي بن يحيي بن محمد الإدريسي" وهي في الحمام[٦٥]. وهو ما أدى إلى نقله من عدوة القرويين إلى عدوة الأندلس، فمات متحسرا على نفسه في نفس الليلة[٦٦]. على غرار ذلك، فالمرأة النصرانية كان لها دور هام في بلاط السلطان، وذلك لما قامت به الجواري النصرانيات في القصور المغربية حتى أصبحن يتدخلن في الأمور السياسية، فحاولت "قمر" زوجة علي بن يوسف تولية إسحاق بن علي بدل تاشفين[٦٧]. وما هذا إلا دليل يبرز قوة شخصية المرأة ومكانتها عند الأمير ومعرفتها السابقة بأمر الولاية[٦٨].

أما في دولة بني حفص، فقد حظيت الجارية النصرانية بمكانة مهمة خصوصًا بعد أن أنجبت ذكرا من السلطان، ومن أشهرهن الجارية "ضرب"[٦٩]، والدة الواثق وزوجة المستنصر بالله (٦٤٧هـ/٦٧٥هـ - ١٢٤٩م/١٢٧٧م). ولعل من بينهم أيضًا والدة المستنصر "عطف" التي أنشأ لها المدرسة التوفيقية وجامع التوفيق (٦٥٠هـ/١٢٥٢م)[٧٠]. إضافة إلى ما تقدم، كان للمرأة النصرانية دورًا كبيرًا في استقطاب النصارى إلى دولة بني حفص، ففي فترة حكم أبو عمرو عثمان (٨٩٤/٨٣٩هـ - ١٤٨٨/١٤٣٥م)، أكرم النصارى الوافدين إليه وأسكنهم بربض بجانب القصبة، حيث أصبح يقطن فيه ابن وأمه حتى أصبح يعرف فيما بعد "بحي العلوج"[٧١].

## رابعًا: الغرباء والعمل الحرفي

فقد تكونت فئات الغرباء كذلك من جماعات الحرفيين الذين أقاموا بدورهم في الفنادق، بهدف سد حاجيات الجاليات المغتربة، وترويج صناعتهم، والمساهمة في تنشيط الحركة الاقتصادية بالمدن

المغاربية، حيث شملت هذه الجماعة الحرفيين وبائعي الأدوية[٧٢]. والإسكافيين والفرانيين والخبازين والحمالين والخياطين وغيرهم، ونجد في هذا الصدد إشارات إلى بعض الحرفيين في وثيقة تتضمن التزام شخصين من فندق جنوة بتونس، تحت اسمي "ماروزا" و"روسا" بالاشتغال مع أحد مواطنيهما، ويدعى أدورنو لونفرانكوAdorno Lanfranco، لتقديم خدماتهما المحددة في تقطيع القماش والخياطة طيلة إقامتهما التي دامت سنتين وشهرا واحدا[٧٣].

كشفت قوانين مجلس مدينة مرسيليا الصادرة سنة (١٢٢٨م/٦٢٥هـ) على سبيل المثال أن المجمعات الفندقية التابعة لها، يمكن أن يشمل العديد من الدكاكين وورشات الحرفيين، ومخازن الحبوب، وغرف النوم المرتبطة بالإقامة، وكانت هذه المرافق خاضعة للمشرف على الفندق الذي كان بإمكانه أن يؤجر دكانا لمدة سنة لأي حرفي يطلب ذلك، ولعل وجود هذه المرافق ينهض قرينة على وجود هؤلاء الحرفيين الذين رحلوا إلى بلاد المغرب واستقروا بها[٧٤]. وكان بإمكان الحرفيين أن يفدوا إلى الفندق مباشرة، ويشتغلوا في دكاكينهم المكتراة من دون أي وصاية من الدولة المغربية، شريطة ألا يشكل عملهم أي عائق للتجار المسحيين الموجودين في الفندق[٧٥]. غير أن ذلك لم يحل دون ممارسة بعض الإيطاليين من مدينة جنوة أنشطة اقتصادية خارج الفنادق التي كانوا يقيمون فيها[٧٦].

وبرع الأطباء اليهود في المغرب الإسلامي، فبرز أبو جعفر أحمد بن حسان، طبيب الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب، وهو الذي رافق الرحالة الأندلسي محمد بن أحمد ابن جبير الكناني (٦١٤هـ/١٢١٧م)[٧٧]. وبالانتقال إلى العصر المريني، نجد الطبيب محمد الشريشي المعروف بحكيم الرعاة (٧٧١هـ/١٣٠١م)، من أهل سبتة خدم السلطان أبي عنان وكان له دكان برحبة الوزان[٧٨].

ومن الملاحظ أن دكاكين السكاكين والصاغة وجدت بالقرب من دور السكة نظرًا للتلازم بين عملهم وبين هذه الدور، بحيث لم يكن ممكنا بيع المصنوعات إلا بعد مراقبة أمين دار السكة خصوصا اليهود الذين كانوا دوما موضع شك في تزييف العملات[٧٩]. وساهم النصارى في مهنة البناء بفعل اختلاطهم بالمسلمين وشاركوهم في حياتهم العامة خلال عصر الموحدين[٨٠]. وتعبر أمثال شعبية عما كان يلاقيه الرقيق من ضنك وإرهاق خلال عملية جلب الأحجار[٨١]. ونشطت صناعة الخمور في الحانات والفنادق التي يسكنها الغرباء، وكان بيع الخمر في الفنادق مسموحًا به، ولكنه كغيره من المواد الأخرى كان خاضعًا لضريبة تسمى القبالة، يؤديها تجار الفندق عند الاستيراد والبيع[٨٢]. أما يهود المغرب الأقصى فاختصوا بالصناعات الحريرية وصباغتها[٨٣].

## خامسًا: الغرباء والعمل الفلاحي

تركت الجاليات المسيحية القادمة إلى المغرب أثرًا إيجابيًا في المجال الفلاحي كما تبين ذلك بعض الفتاوي، وكان للجاليات الإسبانية التي تم ترحيلها إلى المغرب سواء في العصر المرابطي أو الموحدي خبرة كبيرة في العمارة والفلاحة والسقي وغير ذلك، ولهذا السبب، لا نشك في أن هؤلاء أسهموا في تقدم الزراعة بالمغرب[٨٤]. كما نذكر قضية المسلم الذي ابتاع جنة من يهودي وحبسها[٨٥]. وما هذه إلى حجة ودليل قطعي يبرز اشتغال الغرباء في أعمال الأرض التي وصفت بالجنة أي تتوفر على أنواع المزروعات والأشجار قبل بيعها للمسلم. إن الطبيعة المادية للغرباء جعلتهم يهتمون بزراعة المحاصيل الزراعية ذات الدخل الكبير، ففي جنوب المغرب قاموا بغرس الكروم، وبعد نضج العنب يقومون بعصرة وصناعة الخمور التي تعد من أكثر المنتوجات ربحا لهم[٨٦]. كما اهتم اليهود بذراعة الذرة والدخان، وغرس نبات النيلج الذي تستخلص عصارته وتستعمل لدباغة الجلود[٨٧]. ويجب ألا نغفل، تسويق الخمور وتصديرها إلى الدول الأوربية، وهو ما دعا فقهاء بلاد المغرب الإسلامي إلى تحريم بيع الكروم إلى النصارى من خلال فتاوي الونشريسي[٨٨].

والجدير بالملاحظة أيضًا، اهتمام يهود بني حفص بنظام المغارسة أو الزراعة وهو عقد شراكة يتم بين طرفين، فالأول يقدم الأرض، والثاني هو الغارس الذي يقدم العمل وغراسة الأشجار مقابل نسبة متفق عليها، وتكون القسمة في فترة الإطعام، ولا يمكن للغارس التصرف في نصيبه قبل المدة المعلومة[٨٩]. إن استقرار

عدد كبير من أهل الذمة يهودًا ونصارى في أرياف الأندلس فرض عليهم العمل الزراعي وما يتصل به من رعي وصيد[٩٠]. ويدل على اشتهارهم بالعمل الزراعي أن ألفونسو السادس القشتالي حمل في سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) جملة من رعية معاهدة غرناطة لعمارة أرض طليطلة[٩١]. وتعتبر زراعة الكروم من الزراعات النقدية التي تستخدم في صناعة الخمور التي تخصص فيها اليهود[٩٢]. أما التي سكنها اليهود منذ القدم، فقد امتلك اليهود فيها أراضي منزرعة بالزيتون[٩٣]. واشتهر الغرباء بزراعة الكمون والكروياء والنيلج والحناء[٩٤]. ففي فاس عمل اليهود بالزراعة، خاصة هؤلاء الذين سكنوا ضواحي المدينة، حيث اشتهرت فاس بإنتاج الحبوب والفاكهة[٩٥]. وتظهر بعض النوازل التي وردت إلى كل فقهاء المسلمين وأحبار اليهود امتلاك البعض من يهود الأندلس البساتين والأراضي الزراعية ومن ذلك السؤال الذي وجه إلى ابن سهل الأندلسي الذي نصه: الجواب رضي الله عنك، في مسلم اشترى جنانا من يهوديين[٩٦].

وقال ابن سهل أيضًا:" سئلت عن يهودي حبس على ابنته فلانة البكر في حجره وولاية نظره جميع القلعة التي بموضع كذا وحدها كذا، ونصف القلعة التي بموضع كذا، وحدها كذا"[٩٧]. ومن المنتوجات التي اهتم بها الغرباء نبات النيلة الهندي الأصل، ويعرف عند الغافقي بالنيل، وهو العظلم ويستعمله الصباغون وغيرهم من الأطباء في مداواة الكثير من الأمراض، وينقسم إلى بري وبستاني، ومن ألوانه الأسود والأزرق والأبيض[٩٨]. وتأكيدًا لما سبق، يتبين جليا اهتمام الغرباء بغراسة الكروم والعنب في مدينة تازا، وهو ما يساهم في ازدهار المنتوج وإقبال التجار الأندلسيين على شرائه[٩٩]. كما امتلك الغرباء الأراضي عن طريق القرض، حيث يستمر في استغلالها إلى أن يقوم المقرض بالتسديد، وعندها تعود الأرض لصاحبها، بشرط أن يحصل على الفائدة أو الربا[١٠٠]. وتصور لنا الأمثال الشعبية العمل الزراعي الذي قام به الغرباء في أرياف الغرب الإسلامي برمته من خلال المثل الآتي:" طلق الفاس، خذ المسحا"[١٠١]. في حين تميزت مدينة رندة الأندلسية في القرن (٧هـ/١٣م)، باشتغال الرقيق فيها بطحن الحبوب من قمح وحنطة[١٠٢].

ويتم اللجوء إلى قوتهم العضلية عند ظهور الحاجة إليهم، في مرحلة حرث الأرض أو حصادها على وجه الخصوص، ونجد مصداق هذه الفرضية في إشارات مصدرية عديدة، جمعها أحد الباحثين وتهم إسناد أرباب الأرض أر ضياعهم وإقطاعتهم لوكلاء ينوبون عنها في تدبير أمورها، في حين سكن هؤلاء المدينة[١٠٣]. أما في الأندلس خلال القرن (٧هـ/١٣م)، واعتمادًا على وثائق إسبانية، وقف أحد المتخصصين في الرق الأوربي على المجالات التي عمل بها الرقيق، وحددها في أعمال زراعية متعددة، يرتبط بها تحريك عجلات الناعورات المستعملة في السقي وإصلاح المحاريث والعمل في المطاحن[١٠٤]. وتحدد روايات أخرى طبيعة عمل الإماء في البادية، خاصة في جلب المياه من العيون والآبار[١٠٥].

ويتبين جليًا أيضًا مشاركة الغرباء في تربية الخيل أيضًا في منطقة فازاز التي سكنوها، فقد اشتهرت خيولها بأنها" مدورة القدود، من أعتق الخيول لصبرها وخدمتها وحسن تربيتها"[١٠٦]. كما تشير وثائق الجنيزا إلى اقتناء اليهود للحمير، ويظهر ذلك في خطاب أرسله أحد تجارالمهدية يطلب من مراسله في القاهرة شراء بردعة لحماره[١٠٧]. وعملية التهجين بين الحمير والخيل وفرت البغال في بلاد المغرب، والأخير تتحمل عناء السفر لمسافات طويلة، وتحمل الأحمال الثقال، لذلك استخدمها اليهود في بلاد المغرب لنقل البضائع من المدن إلى القرى النائية[١٠٨]. تميز غرباء تونس بتربية دودة القز، خاصة في مدينة قابس التي عرفت بجودة حريرها حسب تعبير الرحالة والجغرافيون[١٠٩].

## سادسًا: الغرباء والحضور التجاري

ونعتقد بحكم الحضور القوي للجنويين بالمدينة بأنه لم يكن ثمة عنصر أوربي أكثر دراية من الجنويين بموارد سبتة وبشؤونها الداخلية، ويبدوا من خلال عقود الموثق جون سكريب John Scriba أن الاهتمامات التجارية للجنويين بسبتة انطلقت مع سنة ١١٦٠[١١٠]. نتوفر أيضًا على أسماء ١٣ سفينة مرسيلية أرسلت شراعها بمياه المدينة المغربية بين ١٢١٢ و(١٢٤٨م/٦٤٨،٦٠٩هـ)،

وحققت زهاء ثلاثين عملية تجارية[١١١]. ومن أهم المعاهدات التجارية التي حسنت من وضع الغرباء ببلاد المغرب، تلك المعاهدة التي عقدها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي الكومي في الفترة الممتدة ما بين (١١٦٠/١١٦٣م)، والتي سمح فيها للتجار المسحيين القادمين من جنوة وبيزا والبندقية ومرسيليا باستيطان بعض الموانئ المغربية خاصة مدينة سبتة وسجلماسة ومدينة وهران[١١٢].

لا شك أن هذه المعاهدات والاتفاقيات كان يسهر عليها قناصل ورجال دين يمثلون الكنيسة المسيحية، ومن بين الشركات التي اشتهرت في المغرب الأقصى نجد شركةGiovanni Bono، والذي أصبح فيما بعد كاتب جمارك بجاية سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م، والتي مع التاجر الجنويBlancardo، حيث ساهمت في استيراد مواد من موانئ المغرب خاصة في بجاية والتي تبلغ رأس مالها حوالي ٢٠٠ ليرة جنوية[١١٣].

وفي سنة ٧٥٩هـ عقد السلطان أب عنان المريني معاهدة سلم وتجارة مع بيزا التي نصت في موجبها على منحهم فندق خاص بهم في أي مدينة يكونون بها مع ضمان حقوقهم الدينية وحق المتاجرة، وفي سنة ٦٨١هـ تم عقد صداقة بين السلطان المريني أبي يعقوب وملكي فرنسا وقشتالة، والتي غالبا ما كانت بنودها لخدمة الجانب الاقتصادي للبلدين[١١٤]. نصت مجمل المعاهدات المبرمة بين المدن الأوربية والسلطات المغربية على أن الفندق يعتبر فضاء خاص بسكن التجار المسيحين المغتربين، وإيداع بضائعهم وخزنها، وممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، واستعمال لغتهم الأصلية[١١٥]

## خَاتِمَةٌ

صفوة القول، شكلت الغربة أهم الظواهر الاجتماعية التي طبعت التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والديني، حيث أصبح المجتمع الإسلامي مجالاً خصبًا لديناميتها، فقد ساهمت الجواري في تكوين الأسر المغاربية عن طريق الزيجات والمصاهرات، وقامت بدور هام على مستوى الأمور السياسية بهدف توطيد العلاقات الحضارية بين المدينة الإسلامية والطوائف المختلفة، ويضاف إلى ذلك الأعمال المنزلية الشاقة التي قامت بها النساء المسيحيات والنصرانيات والعبيد لخدمة السلاطين، وأخيرا، بين الدور الاقتصادي المتمثل في مزاولة الغرباء بعض الحرف والأعمال الفلاحية التي أسهمت في ازدهار الحياة الاقتصادية المغاربية.

## الإحالات المرجعية:

(١) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون، المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية١٩٨٨. ج٦، ص:٢٢.

(٢) عبد الله بن محمد التيجاني، **رحلة التجاني**، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب،١٩٨١، ص:١٨.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص:٢١١.

(٤) أمين كرطالي، **مصاهرة سلاطين المغرب الإسلامي لشيوخ القبائل العربية ق.٧/١٣هـ/١٦م**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد٣، العدد١، ص:٤٩٨/ ٥١٠، جوان ٢٠١٩، ص:٥٠٤،٥٠٥.

(٥) ابن خلدون، **العبر**، م،س، ج٦، ص:٦٩.

(٦) أمين كرطالي، **مصاهرة سلاطين المغرب**، م،س، ص:٥٠٥.

(٧) أبو عبد الله محمد ابن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤، ص:١٠٠.

(٨) ابن خلدون، **العبر**، م،س، ج٦، ص:٥٢٩.

(٩) ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي ت٧٢٦هـ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة. الرباط. ١٩٧٢. ص:٣٩٥.

(١٠) حميد تيتاو، **الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، السنة الجامعية:٢٠٠٨/٢٠٠٩، ص:٣٩٥.

(١١) ابن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط.

ط٢،١٤١١هـ/١٩٩١م، ص:٢٥.

(١٢) ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص:٢٣.

(١٣) نفسه: ص:٢٣.

(١٤) ابن خلدون، **العبر**، م،س،ج٧، ص:٢٢٥.

(١٥) الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي. بيروت،١٤٠١هـ/١٩٨١م/ج٤، ص:٥٤.

(١٦) محماد لطيف، **الأسرة في مغرب العصر الوسيط**، حقوق الطبع والنشر، مؤسسة آفاق ٢٠٢١، المغرب، ط١، مراكش ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م، ص:٥٣.

(١٧) البادسي، **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق، سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط،١٩٨٢، ص:١٤١.

(١٨) ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحيي التادلي، **التشوف في رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص:٣٢٥

(١٩) الونشريسي، **المعيار**، م،س، ج٣، ص:٨٤

(٢٠) ليلى أحمد نجار، **المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى السعودية، دط،١٩٨٩، ج٢، ص:٤١٧.

(٢١) تقي الدين الفاسي، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق، محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١،١٩٩٨م، ص:٤١٧.

(٢٢) سحر السيد عبد العزيز سالم، **الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس، دراسة سياسية، أدبية، اجتماعية، ضمن مساهمة في كتاب الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٩٥، صص:٣٣،٧٩.

(٢٣) محماد لطيف، **الأسرة في مغرب العصر الوسيط**، م،س، ص:٥٨.

(٢٤) نفسه: ص:٢١٧.

(٢٥) الونشريسي، **المعيار**، م،س، ج٣، ص:٥٢.

(٢٦) محماد لطيف، **الأسرة**، م،س، ص:٥٦

(٢٧) عصمت عبد اللطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني، ٥١٠هـ/٥٤٦هـ/ ١١١٦م/١١٥١م**، دار الغرب الإسلامي: بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٨/١٤٠٨، ص:٢٥٤.

(٢٨) مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ١٩٧٩، ص:١٦٤.

(٢٩) إبراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١،١٩٩٨، ص:١١٣.

(٣٠) حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"**، مكتبة الخناجر بمصر، ط١ ١٩٨٩، ص:٤٠٧.

(٣١) نفسه: ص:٤٠٨.

(٣٢) ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، م،س، ص:١٨٨.

(٣٣) ابن صاحب الصلاة، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تحقيق:
عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط١٩٨٧،٣. ص:٢٩٧.

(٣٤) سميرة نميش، **أهل الذمة ودورهم الحضاري بالمغربين الأدنى والأقصى ٦هـ/١٢م/١٦م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم التاريخ، تخصص تاريخ وسيط، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم التاريخ، السنة الجامعية ٢٠١٧/٢٠١٨، ص:٦٢.

(٣٥) **نفسه**، ص: ٦١،٦٢.

(٣٦) ابن خلدون، **العبر**، م،س، ج٦، ص:١٠٥،١٠٦.

(٣٧) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، م،س، ص:٢٤١.

(٣٨) ابن أبي زرع. **روض القرطاس**، م،س، ص:٢٤١.

(٣٩) البرزلي، أبو القاسم بن أحمد بن إسماعيل القيرواني، **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ج٢، بيروت،٢٠٠٤، ص:٢٩٣

(٤٠) سمير نميش، **أهل الذمة**، م،س، ص:٥٤.

(٤١) ابن عذاري، أحمد بن محمد المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين**، تحقيق، الأستاذ محمد إبراهيم

الكتاني، محمد ابن تاويت، محمد زنيبر، عبد القادر زمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٥، ص:٢٧٦.

(٤٢) مجهول، **الحلل الموشية**، م،س، ص:٢٥٩.

(٤٣) مجهول، **الحلل الموشية**، م،س، ص:٢٤٥.

(٤٤) نوال عبد الرحمن الشوابكة، **أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري**، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط١،١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، عمان، ص:١٨٩.

(٤٥) الغرناطي، أبو حامد محمد، **رحلة تحفة الألبان ونخبة الإعجاب**، ط١، حررها قاسم وهب، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ودار الفارس للنشر، عمان: ص.١٤٠.

(٤٦) إبراهيم القادري بوتشيش،" **من الأقليات المغمورة بالغرب الإسلامي خلال عصر الموحدين. فئة" الغرباء المسحيين الأوربيين"** مقال في كتاب: التاريخ والهوية، الكتابة التاريخية بين الأرشيف وسؤال التعددية، أعمال مهداة إلى جامع بيضا، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، تنسيق: عبد العزيز الطاهري، الطيب بياض، ص: ٣٠٧.

(٤٧) أوليفيا ريمي كونستابل، **إسكان الغريب في العالم المتوسطي، السكن والتجارة والرحلة في أواخر العصر القديم والعصر الوسيط**، تعريب وتقديم محمد الطاهر المنصوري، مراجعة محمد ياسين الصيد، المدار الإسلامي، بنغازي، ٢٠١٣، ص: ٢١٩.

(٤٨) بوتشيش، **من الأقليات المغمورة**، م،س، ص: ٣٠٧

(49) Georges Jehel, **Les Génois en Méditerranée occidentale (fin XIème - début XIVème siècle),** Paris, 1993, p. 404.

(٥٠) كونستابل، **إسكان الغريب**، م،س، ص:٢١٩.

(٥١) بوتشيش، **من الأقليات المغمورة**، م،س، ص:٣٠٨.

(٥٢) بوتشيش، **من الأقليات المغمورة**، م،س، ص: ٣٠٧.

(٥٣) المراكشي، **وثائق المرابطين والموحدين**، تحقيق ودراسة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط١،١٩٩٧ص: ٤٩٥.

(٥٤) عبد الإله بنمليح، **الرق في بلاد المغرب والأندلس خلال القرنين ٥هـ/١١م/٦هـ/١٢م**، بحث لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، المغرب، السنة الجامعية، ٢٠٠١،٢٠٠٠م "مرقونة" ص: ٣٧٦.

(٥٥) ابن الزيات، **التشوف**، م،س، ص:٢١٩.

(٥٦) **نفسه**، ص:٢٢٤.

(٥٧) ابن عذاري، **البيان الموحدي**، م،س ، ص:١٤٤،١٤٥.

(٥٨) ابن الحواري، الفضل، **جامع الفضل بن الحواري**، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ج١،١٩٨٥. ص:٩١.

(٥٩) **نفسه**: ص: ٩١.

(٦٠) عبد الإله بنمليح، **الرق**، م،س، ص:٣٧٧.

(٦١) مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، مطبعة الإسكندرية، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ١٩٥٦، ص:٢١٦

(٦٢) بنمليح، **الرق**، م،س، ص:٣٧٧.

(٦٣) الونشريسي، **المعيار**، م،س، ج٣، ص:٣٠٧.

(٦٤) نفسه. ج٣، ص: ٣١.

(٦٥) البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، مطبعة المثنى ببغداد، نشر البارون، ديسلان، الجزائر١٨٥٧، ص:١٢٤

(٦٦) سميرة نميش، **أهل الذمة**، م،س، ص:٧٤.

(٦٧) ابن عذاري، **البيان**، م،س، ج٤، ص:٧٧.

(٦٨) الحسن الغرايب، **مسيحيو المغرب الأقصى في العصر الوسيط**، تقديم: عبد العزيز عينوز، ط١، منشورات مطابع الرباط نت ٢٠١٥، الرباط، ص:٢٥٥.

(٦٩) زينب كرير عبد الله أحمد، **أهل الذمة في العهد الحفصي**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق ٢٠٠٥، ص:٢٠٨

(٧٠) ابن خلدون، م،س، ج٦، ص: ١٠٥،١٠٦.

(٧١) سميرة نميش، **أهل الذمة**، م،س، ص:٧٥.

(٧٢) بوتشيش، **من الأقليات المغمورة بالغرب الإسلامي خلال عصر الموحدين: "فئة الغرباء" المسيحيين الأوربيين**، م،س، ص:٣٠٥.

(73) Jehel**, op.cit**,p 395.

(٧٤) بوتشيش، **من الأقليات المغمورة**، م،س، ص:٣٠٦.

(٧٥) كونستابل، **إسكان الغريب**، م،س، ص:٢١٢،٢١١.

(٧٦) مصطفى نشاط، **جنوة وبلاد المغرب من سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م إلى سنة٧٥٩هـ/١٣٥٨م، مساهمة في دراسة العلاقات الإيطالية المغربية في أواخر العصر الوسيط**، مطابع الرباط نت،٢٠١٤، ص:١١١،١١٠.

(٧٧) محمد العربي الخطابي، **الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دراسة وتراجم ونصوص**، تح، محمد العربي الخطابي، ج١، دار الغرب الإسلامي، ص:٢٦

(٧٨) **نفسه**: ص: ٧٨.

(٧٩) مولاي الحسن مغار، **الحرف في الفكر والتاريخ بمجال المغرب الأقصى خلال العصر المريني**، منشورات مركز تافيلات للدراسات والتنمية والأبحاث التراثية، دار محمود، شارع سامي البارودي، باب الخلق، القاهرة، ط١ ،٢٠١٧، ص:١٦٥.

(٨٠) الحسن الغرايب، **مسيحيو المغرب الأقصى**، م، س، ص:٢٣٢.

(٨١) مثال ذلك **"إلى عييت يا ميمون قم ترفد الحجر" وكذا " إذا عييت يا مبارك نقل الحجر"**، أبي يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي، تحقيق وشرح ومقارنة، محمد بن شريفة، **أمثال العوام في الأندلس**، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، القسم ٢، ص:٩٩.

(٨٢) Mas Latrie, M.L de, **Traités de paix et de commerce et tiens avec édocuments divers concernant les relations des Chr les Arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge, ed. Baur et Detailles librarie** Paris, 1866- 1875, p 28..

(٨٣) الحسن الغرايب، **مسيحيو المغرب الأقصى**، م، س، ص:٢٢٩.

(٨٤) إبراهيم القادري بوتشيش، **الجاليات المسيحية، ضمن تاريخ الغرب الإسلامي، قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٤ ص:١٠٥.

(٨٥) الونشريسي، **م،س**، ج٧، ص:٢٣٨،٢٣٩.

(٨٦) ابن خلدون، **المقدمة**، ج٢، ص:٧٠٩.

(٨٧) مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، مطبعة الإسكندرية، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، ١٩٦٥ ص:٢٠٧.

(٨٨) الونشريسي، **المعيار**، م،س ج٦، ص:٦٩.

(٨٩) محمد حسن، **المدينة والبادية في العهد الحفصي**، جامعة تونس الأولى، تونس١٩٩٩، ص:٤١١،٤١٦.

(٩٠) عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص:١٠٩،١٠٨.

(٩١) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص:٣٦.

(٩٢) ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله القرطبي ت٤٢٤هـ/١٠٣٢م، **آداب الحسبة والمحتسب**، تحقيق فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص:٩٣.

(٩٣) عبد الرحمن بشير، **اليهود في المغرب الإسلامي وإسبانيا المسيحية ٢٢هـ/٤٦٢هـ/٦٤٢م/١٠٧٠م**، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص:٩٠.

(٩٤) **الاستبصار**، م،س، ص:٢٠٦.

(٩٥) **روض القرطاس**، م،س ، ص:٤٤.

(٩٦) ابن سهل. أبو الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي الجياني، ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م، **ديوان الأحكام الكبرى، الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام**، تحقيق يحيي مراد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص:٦٥.

(٩٧) نفسه: ص:٦٨.

(٩٨) ابن البيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٩٢، ١، ص:٤٨٧،٤٨٨.

(٩٩) إبراهيم قدوري، **الفلاحة ومساهمتها في اقتصاد المغرب الأقصى خلال عصر الموحدين**، بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، تحت إشراف: د مولاي الحسن مغار، السنة الجامعية:٢٠٠٢،٢٠٠١،ص:٧١.

(١٠٠) عاشور بوشامة، **علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس**، رسالة ماجيستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩١، ص:٣٦٨.

(١٠١) الزجالي، **أمثال العوام في الأندلس**، م،س، ق٢، ص:٩٩.

(١٠٢) عبد الإله بنمليح، **الرق في بلاد المغرب والأندلس**، م،س، ص:٣٤٧.

(١٠٣) إبراهيم القادري بوتشيش، **العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** ص:٢١، مجلة جمعية تاريخ المغرب، وجدة، العدد٢، السنة ٢، يونيو١٩٩٤.

(١٠٤) عبد الإله بنمليح، **الرق في بلاد المغرب والأندلس**، م،س، ص:٣٤٦.

(١٠٥) نفسه، ص:٣٤٩.

(١٠٦) نفسه: ص:١٨٧.

(107) Goitein. **Mediterranean Society**. op. cit 4. P.264.

(١٠٨) الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف الفاسي ت٧٧٦هـ/ ١٣٦٤م، **الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة**، تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق١٩٧٦م، ص:١٣٧.

(١٠٩) الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي ت٩٧٥هـ، **وصف إفريقيا**، ج٢، ترجمة: محمد الأخضر ومحمد حقي، دار الغرب الإسلامي، ط١٩٨٣، ٢، ص:٦٦.

(١١٠) مصطفى نشاط، **عودة إلى مسألة الهجوم الجنوي على سبتة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م أو لغز كلكريني**، مقال ضمن كتاب وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، تنسيق: عبد المجيد القدوري، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم٢٧، مطبعة النجاح الجديدة/ الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠١، ص:٥٤.

(١١١) محمد الشريف، **سبتة الإسلامية دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي، عصر الموحدين والمرينيين**، تقديم: امحمد بن عبود، منشورات جمعية تطاون، أسمير، ط٢، الرباط٢٠٠٦. ص:٩٣،٩٤.

(112) .Mas Latrie. **Op. Cit**. P.47.48.

(١١٣) الحسن الغرايب، **مسيحيو المغرب الأقصى**، م،س، ص:٢٢٢.

(١١٤) أحمد عزاوي، **العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط**، ج١، ط١، مطابع الرباط نت، المغرب٢٠١١، ص: ٤٨'٥٣.

(١١٥) كونستابل. **إسكان الغريب**، م،س ، ص:٢٤١.